

الفايروس الغامض جاء من أفريقيا وذهب إلى هوليوود

«الوباء».. الفيلم الذي سبق «العدوى» وكورونا



الخبراء الثلاثة موفدون من الجيش الأمريكي لتحري الوضع في زانير



خوض المغامرة بدافع الخبر

الاستسلام للحقيقة وإنقاذ سكان البلدة من الهلاك، وبين إطاعة رئيسه لكي لا يفقد منصبه العسكري. أما رينيه روس فهي فاكهة الفيلم، التي تحب وتغضب وتحتد وتتساجر على أشياء طفولية صغيرة، لكنها طيبة القلب، تحرص على الاهتمام بأمر زوجها السابق، كاشفة عن رغبة خفية في استعادة العلاقة. والمحنة المشتركة في النهاية، تقرب بين القلوب.



داستين هوفمان وجوده أضفى حيوية وحرارة على مشاهد الفيلم، فهو يعرف كيف يتحكم في أدائه ويطوعه ويمنحه المصداقية

فهو يجعل الفيلم يبدو وكأنه مصور في لحظة واحدة ممتدة من خلال اللقطات الطويلة المتحركة (تراكنغ) التي تتابع الشخصيات دون هواده في الداخل والخارج، في حركة دودية مستمرة مرهقة من مشهد إلى آخر، مع موسيقى جيمس نيوتون هاوارد التي تتصاعد لتثير القشعريرة في جسدك في الكثير من مشاهد الحركة والمطارادات الأخيرة التي رغم طرافتها وخضوعها لسينما الإثارة التقليدية في هوليوود، لا يملك المرء سوى الإعجاب بتماسكها ودقة تنفيذها وإيقاعها المتدفق السريع المحكم.

ولا شك أن وجود داستين هوفمان كنجم كبير، يضيف الحيوية والحرارة على الكثير من مشاهد الفيلم، فهو يعرف كيف يتحكم في أدائه ويطوعه ويمنحه المصداقية، ومن أفضل المشاهد التي يؤدي فيها برقة وبساطة وعفوية مشهد مخاطبته لطفلة صغيرة في منزل ريفي، اقامت علاقة مع القرود الحاملة للفايروس، لكي يقنعها باستدراجها من الغابة القريبة حتى يتمكن مساعدته من تخديرها ثم استخلاص المصل المضاد منها. أما في النصف الثاني لم يكن هوفمان مقتنعاً في مشاهد المغامرات البطولية التي كانت تقتضي ممثلاً آخر أكثر شباهاً.

دونالد سونرلاند هو "شهير الفيلم" التقليدي المصغر على موقفه حتى النهاية الدرامية، الذي يريد تدمير البلدة بدعوى الحفاظ على الأمن القومي. إنه "الوجه القبيح" للعسكرية الأمريكية. أما فريمان فهو الجنرال المتمرد بين

وكلها مشاهد مصنوعة جيداً، بحيث تجعلك تفقد الكثير من الأدريالين، لكن هنا تحديداً يفقد الفيلم الكثير من مصداقيته. فالبطل - الأمريكي - الفرد - الأبيض - من الطبقة الوسطى، صاحب الضمير الأخلاقي الحي، (الذي يتحالف معه الكولونيل سالت الأفرو - أمريكي) ينتصر بعزمته وإصراره وأساساً، بقوته الأسطورية، على "المؤسسة" بأسرها ويهزم خطتها، ويستطيع أن يكسب أخيراً إلى صفه الجنرال المتردد المذعور (ولكن الطيب القلب) فريمان (الأفرو - أمريكي أيضاً) ويجعله يتصدى لإحباط خطة الجنرال الشرير سونرلاند بقتل الأبرياء.

ليس بوسع أي متفرج أن يعتقد رغم ترحيبه بالنهاية السعيدة للفيلم، أن من الممكن أن تنتهي محنة وباء كورونا العالمي، بمجرد أن يتوفر لدينا بطل مثل داستين هوفمان وطبعية حسناء مخلصه مثل رينيه روسو (بوبي) وضابط مقدم يستطيع أن يقود مروحية رغم أنه ليس طياراً، ويهرب بها في منحنيات شديدة الصعوبة، ويتجنب قصف طائرة حربية يقودها أفضل طيار في الجيش، تتعقبه وتطلق قذائفها في اتجاهه.

صور بديعة

رغم ذلك، لا بد من الإقرار بأن الفيلم يتميز بصوره البديعة بفضل مدير التصوير الألماني المرموق مايكل بالهاوس (الذي سبق أن عمل مع سكورسيزي وفاسبندر ومايك نيكولز).

بحصار البلدة المنكوبة وفرض الحظر التام على سكانها، هناك محوران آخران تدور الراما من حولهما ويظل الفيلم ينتقل طوال الوقت: أولاً علاقة دانيلز بزوجه السابقة، وهو محصور يتخذ أحياناً ملامح كاريكاتورية مضحكة عندما نرى كيف أنهما ما زالوا بعد انفصالهما يتساجران حول من منهما يجب أن يرعى الكلبين.

ورغم الصراخ والانفعال والحدة، إلا أننا نستطيع أن نلمح أنها ناتجة عن شعور متبادل بالفقدان، بالخسارة، بالحماقة والتسرع. فالحب لا يزال قائماً لدينا لكن العناد يطغى عليه. وفي ما بعد، عندما تصاب روبرتا بالعدوى سيصارع دانيلز ويغامر بحياته، من أجل الوصول إلى استخراج المصل المضاد لإنقاذ حياتها.

البطل الفرد

يتعلق المحور الثالث بالصراع بين دانيلز ورئيسه الجنرال بيلي فور، بعد أن يكتشف أنه يخفي حقائق تتعلق بما وقع قبل 28 عاماً في زانير، لكنه سيتوصل إلى معرفة الحقيقة، عندما ياتيه فور بالمصل المضاد القديم المحفوظ لفايروس موتابا.

وسيعرف بالتالي حقيقة وجود فايروس تم التكتّم عليه، لصالح "المؤسسة" التي يمثلها الجنرال ماكلتوك (سونرلاند) الذي يعمل كمستشار طبي عسكري في البنتاغون والبيت الأبيض، وهو الذي يأمر بإحاصرة البلدة، ثم في ما بعد، بقصفها بالطائرات الحربية وتدميرها على رؤوس سكانها، بعد حصوله على مباركة من الرئيس الأمريكي نفسه، بهدف الاحتفاظ بسِر السلاح البيولوجي، وعدم اكتشاف دوره مع زميله الجنرال فور في زانير. في النصف الثاني من الفيلم، يتجه العمل إلى الوجهة الهوليوودية التقليدية المألوفة في أفلام البطولة الفردية، فيصبح داستين هوفمان، هو "سوبرمان" الذي يكافح ضد الأشرار لكي ينقذ العالم من الوباء القادم.

بخلاف تعليمات رئيسه ويستولي على مروحية عسكرية يقودها رفيقه الكولونيل سالت، ويهبط بجسده فوق السفينة التي أقلت القرود الصغيرة من أفريقيا (بعد أن يكون قد نجح في رصد تاريخ رسوها على الشاطئ الأمريكي)، ثم يقتحم محطة تلفزيون يطلب مساعدة الجمهور في العثور عليها، ثم يخوض مواجهة مصيرية مع الطائرة التي تهاجم لقصف البلدة.

الفيلم الأمريكي "الوباء" من الأفلام القليلة التي تناولت موضوعاً يصور انتشار وباء ينتج عن فايروس شبيه بفايروس الأنفلونزا، لكنه أكثر خطورة، يمكنه أن يمتد إلى العالم ليقتل الملايين من البشر. والفيلم في جوانب كثيرة، يبدو وكأنه يعبر عما يحدث اليوم مع انتشار وباء فايروس كورونا.

في الوقت نفسه يقوم شاب أمريكي مغامر يعمل في معمل أبحاث الحيوان، بسرقة قرود صغيرة دون أن يعرف أنها تحمل الفايروس، ويعود بها إلى الولايات المتحدة بغرض بيعها لتاجر حيوانات نادرة، إلا أنه يقتل في بيعها ولكن بعد أن تكون العدوى قد انتقلت لكلبهما، ثم تصل العدوى إلى بلدة صغيرة في كاليفورنيا.

ويبدأ الدكتور دانيلز مع زميله الكولونيل كيسبي (كيفن سبايسي) في البحث عن سبب انتشار الفايروس ودراسة تكوينه وأعراض المرض الذي يسببه، وفي الوقت نفسه تتحقق الدكتورة روبرتا زوجة دانيلز السابقة في قسم مكافحة الأرض المعدية في بوسطن، من انتشار المرض.

هذا الجزء من الفيلم مصنوع بدقة عالية، بفضل السيناريو الجيد الذي يكشف لنا تدريجياً طبيعة المرض، من خلال أسلوب إخراج يجسد أعراض المرض بشكل مادي ملموس تماماً. ففي أحد المشاهد التي ليس من الممكن نسيانها، نحن داخل قاعة سينما، نتخاب أحد الشباب نوبة سعال شديدة، وعن طريق الحركة البطيئة، يندفع رذاذ من فمه ويطير على مسافة نحو أربعة أمتار ليدخل في فم شخص آخر كما يستنشقه الآخرون. ويبدو هذا المشهد تحديداً وكأنه تجسيد عملي لكيفية انتشار فايروس كورونا في الوقت الراهن. بعد قليل تمتلئ المستشفيات بعشرين أو ثلاثين مصاباً ممن كانوا في قاعة السينما.

بالإضافة إلى المحور الطبي الذي يتعلق بالمرضى والمستشفيات التي تزحم بالحالات العديدة للمصابين بالفايروس، ثم قيام الجيش الأمريكي

هناك إذن أساس علمي قوي يستند عليه الفيلم الذي أخرجه عام 1995 المخرج الألماني وولفغانغ بيترسن الذي اشتهر بأفلامه المثيرة مثل "في خط النيران" و"قوة الطيران 1" و"طروادة" و"بوسايدون". ويتمتع الفيلم بطاقم من كبار نجوم هوليوود: داستين هوفمان ومورغان فريمان وكيفن سبايسي ودونالد سونرلاند ورينيه روسو وغيرهم.

رنيه روس هي فاكهة فيلم «الوباء»، التي تحب وتغضب طفولية صغيرة، لكنها طيبة القلب

ويبدأ المحور الثالث بالصراع بين دانيلز ورئيسه الجنرال بيلي فور، بعد أن يكتشف أنه يخفي حقائق تتعلق بما وقع قبل 28 عاماً في زانير، لكنه سيتوصل إلى معرفة الحقيقة، عندما ياتيه فور بالمصل المضاد القديم المحفوظ لفايروس موتابا.

وسيعرف بالتالي حقيقة وجود فايروس تم التكتّم عليه، لصالح "المؤسسة" التي يمثلها الجنرال ماكلتوك (سونرلاند) الذي يعمل كمستشار طبي عسكري في البنتاغون والبيت الأبيض، وهو الذي يأمر بإحاصرة البلدة، ثم في ما بعد، بقصفها بالطائرات الحربية وتدميرها على رؤوس سكانها، بعد حصوله على مباركة من الرئيس الأمريكي نفسه، بهدف الاحتفاظ بسِر السلاح البيولوجي، وعدم اكتشاف دوره مع زميله الجنرال فور في زانير. في النصف الثاني من الفيلم، يتجه العمل إلى الوجهة الهوليوودية التقليدية المألوفة في أفلام البطولة الفردية، فيصبح داستين هوفمان، هو "سوبرمان" الذي يكافح ضد الأشرار لكي ينقذ العالم من الوباء القادم.

بخلاف تعليمات رئيسه ويستولي على مروحية عسكرية يقودها رفيقه الكولونيل سالت، ويهبط بجسده فوق السفينة التي أقلت القرود الصغيرة من أفريقيا (بعد أن يكون قد نجح في رصد تاريخ رسوها على الشاطئ الأمريكي)، ثم يقتحم محطة تلفزيون يطلب مساعدة الجمهور في العثور عليها، ثم يخوض مواجهة مصيرية مع الطائرة التي تهاجم لقصف البلدة.

أثير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

أنتج فيلم "الوباء" (OUTBREAK) عام 1995، أي أنه سبق الكثير من الأفلام التي يُنسب إليها السبق في "التنبؤ" بما يشهده العالم حالياً خاصة فيلم "العدوى" (CONTAGION) الذي أخرجه ستيفن سوندربرغ عام 2011. ويستند فيلمنا هذا على كتاب "المنطقة الساخنة" لريتشارد بريستون، وكتاب "الطاعون القادم" للوري غاريت.

والكتابان يسلطان الضوء على انتشار الأمراض المعدية بشكل وبائي، وبينما يناقش الكتاب الأول العلاقة بين الاعتداء على البيئة وظهور فيروسات جديدة مثل فايروس إيبولا، يصف الكتاب الثاني أعراض الأمراض الناتجة عن الإصابة بالفايروسات الجديدة.

الفيلم يبدو الأكثر قرباً في تصوير الملامح المميزة الشبيهة بفايروس كورونا الذي يعاني منه العالم في الوقت الحالي

ببداية مثيرة

ببداية مثيرة

ببداية مثيرة

ببداية مثيرة

ببداية مثيرة

ببداية مثيرة